أثر تذبذب القيم التربوية
في انتشار العنف لدى الشباب

أ/فتيحة حرات
أستاذة مساعدة صنف أ، علم الاجتماع
جامعة بجاية

مقدمة:

بين **فيبر**، دور القيم في المواقف والممارسات والتغيرات والنتائج الممكنة من التغيرات، وضمن تحليل أكثر معاصرة يتم التأكيد على تعددية القيم، والصراع الذي تحدثه تلك التعددية، إنها لا تحدث فقط بين ثقافتين مختلفتين، بل وكذلك داخل نفس المنظمة، ويمكن أن تحدث داخل نفس الأمة، كما أن تعددية القيم يمكن أن توجد في حياة الفرد ذاته[1].

وتعرّف **فوزية دياب** القيم على أنها ذلك الحكم الذي يصدره الإنسان على شيء مهتديا بمجموعة المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه، والذي يحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك[2].

بهذا يتضح لنا بأن وراء كل المواقف والممارسات والتغيرات الاجتماعية قيما يتبناها الأفراد من ثقافة المجتمع أو من ثقافات أخرى مختلفة، ونتيجة اختلافها، ممكن أن تواجه بعضها في المجتمع ذاته وتحدث تناقضا وصراعا كالقيم التقليدية والقيم العصرية. عمدنا إلى تعريف القيم لأننا نعتبرها مسئولة عن انتشار العنف لدى الشباب، وبالأخص نتيجة تغييرها عبر التغير الاجتماعي الذي أحدث خللا في إمكانية التحكم فيها.

قيم التربية الأسرية ضمن النموذج التقليدي:

تعطي الأسرة الأبوية من خلال التربية التي تلقنها للأطفال نظرتها الخاصة للمجتمع وتعكس بالتالي قيمها ومعاييرها. إن المبادئ الأساسية لتلك التربية تجعل من الطفل شخصا

---

[1] Ansart (Pierre), Aknoun (Andrée)(Sous la direction), **Dictionnaire de sociologie,** Robert, le seuil, Paris, 1998, P.P 560-559.

[2] دياب (فوزية)، **القيم والعادات الاجتماعية**، دار النهظة العربية، بيروت ,198O، ص.68.

خاضعا كليا إلى الكبار من واجبه نحوهم الصمت والخضوع، [1] وتختلف طريقة الإخضاع حسب الاختلاف الجنسي الشديد.

تربية الولد :

التربية التي تعطى له ليس منها أي هدف آخر سوى جعله رجلا شريفا، ولكي يكون كذلك يتعلم أن لا يسرق، ولا يتخلى عن ذويه، وأن يبتعد كليا عن الرذيلة . إن الطفل ذو التربية الصحيحة لا يترك نفسه لسلوك خاطئ، يعرف ما يقوله ولا يتباهى بفعل الرذائل، إنه لا يستعمل الكلمات القبيحة ويتكلم قليلا أمام البنات " [2]. " علاقة الأب بالابن، علاقة صريحة لعدم المساواة، فكبر حجم الاحترام نحو الأب يبين طبع الخضوع التام للابن، تبعا لهذه العلاقة تأتي علاقة الأم بالابن، ثم علاقة الإخوة بعضهم ببعض، أين يظهر الاختلاف في العلاقة بينهم، بحيث الابن الأوسط ملزم باحترام أخيه الأكبر منه"[3] . يتعلم الولد إذن جملة من قواعد الاحترام أولا في الأسرة حسب تدرج سلّمي، طبقا لطبيعة البناء التقليدي للأسرة وتوزيع الأدوار ضمنها، ثم ينتقل ذلك الاحترام إلى خارجها بتجنب كل أنواع الرذيلة، بما أن فئة الرجال هي القائدة والمقررة والحاكمة في المجتمع الأبوي التقليدي، فإن سلوك الرجل وإن تعرض إلى الرذائل يبقى مقبولا ولا يحكم عليه بقسوة، رغم الإجراءات التأديبية العنيفة التي تتخذها الجماعة في حالة الإخلال بنظامها مقارنة مع سلوك المرأة، لذلك فإن تربية الفتاة تتبع خطوات صارمة مختلفة تماما عن تربية الولد.

تربية الفتاة:

تتلقى الأسرة التقليدية الفتاة بإكراه، وتلقنها تربية توجه على مستويين: الأول هو الحفاظ على الشرف الأسري، والثاني هو اندماجها في أسرة زوجها.

"تمارس على الفتاة جملة من الضغوط، والتي تعد بمثابة تقويم شديد لما تملكه والمتمثل في عذريتها، إن مهمة حماية سمعة الفتاة وعذريتها مرتبطة ارتباطا وثيقا بمكانتها وشرفها "[4] لأن الفتاة ترتبط بفكرة جلب العار لذويها الذين يعتقدون أن خلق الأنثى سيدوم ولا يفارقهم ما

(1) Haider (F),in Institut National d'Etude et d'Analyse pour la Planification ,**Réflexions sur les structures familiales** ,Alger, 1982 , p. 41 .

(2) Genevois (Henry) ,**L'Education familiale en Kabylie**, F.B.D.N°89 ,Fort National ,1966.pp18-52 .

(3) Boutefnouchet (M.) **La Famille algérienne, Evolution et caractéristiques récentes,** SNED ,Alger 1982 , p. 63.

(4) Zerdoumi (Nefissa) , **Enfant d'hier , l'éducation de l'enfant en milieu traditionnel algérien,** Maspéro, Paris, 1982, p. 190 .

دامت لم تتزوج[1]، لذلك السبب ينصب الاهتمام خلال عملية التربية للفتاة على جملة من الشروط الأخلاقية، والمتمثلة في مظهرها الخارجي وسلوكها، بحيث يجب عليها أن تتميز بالحشمة في سلوكها وبالتحفظ والأدب[2]، في حداثة سنها يتركها الأولياء تبكي، في حين إذا فعلت بعض الأخطاء فإنها تعاقب بقسوة أشد من الولد لأنه يجب القضاء لديها على محاولة إعادة نفس الخطأ وتعليمها التحمل، ولأنها مثلما فعلت عند الأهل، فإنها قد تكرر نفس الخطأ عند أهل زوجها، لذلك تتعلم البنت الأدب والاحتشام، إنها ملزمة بمراقبة تصرفاتها في كل شيئكما تتعلم أشغال البيت، فإنها حتى وإن عملت فوق طاقتها لا يجب أن تشكو، لأنها مهما عملت من أجل أهلها يعد قليلا مقابل ما ستقدمه لبيت زوجها. وحتى تترسخ كل الصفات المطلوبة في الفتاة وتنشأ على الخضوع تؤدب بصفة دائمة: " إن التربية الأخلاقية للفتاة تقوم على تأديبها عن طريق الضرب وعادة ما يكون ذلك من دون سبب، كما أن الأسرة كانت تشجع الذكور على ضرب أخواتهم الصغار في إطار الألعاب العائلية، وفي حالة الشكوى أو أي محاولة الثوران أو التذمر من طرف البنت، فإنها ستتعرض لا محالة للعقاب الأسري" [3]، وممكن أن تعاقب حتى من طرف من يصغرها سنا لتتعود على الخضوع للرجال، "عادة ما كانت الجدة تعطي لحفيدها عصا ليضرب بها أخته بمعية الأم، التي كانت تمسك ابنتها لتساعده على ضربها وتشجعه بقولها :" أضربها أنت رجل " فكان عليها تحمل ضربات أخيها الصغير"[4].

عن طريق استعمال العنف يتم تحضير الاثنين، الولد لأن يكون مسؤولا عن أخته ومتحكما فيها، والبنت بأن تكون في أتم الخضوع للأخ حتى ولو كان يصغرها سنا، وعامة العقاب بالضرب في الأسرة التقليدية كان شائعا ويقع على الجنسين في مجال التربية، لكن البنت تتلقاه أكثر من الولد بما أنها تحضّر لتحمل الشدة، وعلى هذا الأساس تربى الفتاة منذ الصغر على الحرمان.[5]

---

[1]Lacoste- Dujardin(Camille) , **Des Mères contre les femmes , Maternité et patriarcat au Maghreb** , Bouchène, Alger. 1990 , p.57.

[2] Zerdoumi (Nefissa) , Op.Cit, p.190 .

[3] - Ouitis (Aïssa) , **Les Contradictions sociales et leur expression symbolique dans le Sétifois** , S.N.E.D.- C.R.A.P.E. , Alger 1977, p. 61.

[4] Zerdoumi (Nefissa), Op.Cit,p. 169.

[5]Ibid p. 160.

العقاب التقليدي:

حسب النظرة التقليدية في مختلف المجتمعات فإن "العنف ضمن الأسرة ضد النساء والأطفال كان ولزمن طويل يعتبر عاديا"[1]، الحرمان، تحمل الشدائد والعقاب الدائم، تلك هي أهم صفات التربية التي تقدم للفتاة، في حين هناك أسس تربوية أخرى تتقاسمها الفتاة مع أخيها الولد، وطبعا تلك الصفات هي عبارة عن عنف يتلقاه الأبناء عبر التربية، لكن لا الأولياء ولا لأبناء كانوا يشعرون به، لأن العنف كان ببساطة منهجا تربويا مؤدبا حسب منطق النموذج التقليدي من شأنه أن يجعل من الأبناء الخاضعين المطيعين متقبلين له، كونه يجعل منهم أفرادا صالحين وشرفاء، يكونون على الدوام في خدمة الجماعة، ويضمنون بذالك التكافل والتآزر الإجباريين، ويواجهون التغيير لإعادة إنتاج نفس النموذج الاجتماعي الثقافي، فالعنف التربوي الأسري خاصة منه العنف المعنوي والمقصود به الخضوع التام كان يحقق الأمن واللاعنف خارج الأسرة الممتدة، والأبناء كانوا يعلمون بأن التأديب كان الكل معني به بما في ذلك أعضاء الجماعة التي تنتمي إليها الأسرة الممتدة (العشيرة، الفرقة)، وأشد عقاب يخشاه الأبناء هو أن يحملون صفة الذم، لأن ذلك كان يفقدهم تضامن الجماعة معهم.

إن الحياة الاجتماعية مثلما ذكر "**بورديو**" تخنق الحياة الفردية ...لكن الفرد لا يتخذ ذلك الضغط على أنه جور، لأنه يخشى أن يضيع الضامن الحيوي الذي يوحده مع جماعته، ولأنه يشعر بأن لا وجود له سوى ضمن الكل [2].

فالعنف التربوي ضمن منطق نسق النظام التقليدي، ما هو إلا ضبط اجتماعي كان الغرض منه الحرص على عدم تفشي الرذيلة في المجتمع، بما في ذلك منع الاعتداء على الآخرين حتى لا يصل المجتمع إلى ظاهرة انتشار العنف في أوساط الشباب.

تغير التربية الأسرية في ظل التحولات الاجتماعية:

ساهم انتشار الأسر النووية في إعادة النظر في الكثير من القيم التقليدية، بحيث الابتعاد المجالي أضعف من التواجد الدائم للقرابة الواسعة، لأن الوضع الاقتصادي الجديد أحدث الكثير من الاستقلالية الأسرية، وهذا ما ساهم في إضعاف السلطة التقليدية على الأبناء.

---

(1) Michaud (Yves), **La violence** ,PUF-Point Delta ,Beyrouth, 2010,p.04.

(2) Bourdieu (Pierre),**Sociologie de l’Algérie**, ed Dahleb, ,Alger ,1984,p86.

العلاقة الجديدة بين الأولياء والأبناء :

الأطفال في الحاضر لهم أجوبة عند الحديث والرد الحيوي الذي لا يعاقب بالضرب، بل بالابتسامة المشجعة، بصفة عامة في الأسرة المعاصرة لا يعاقب الأب بسهولة ويشجع على تلبية شهوات الطفل" [1]

الممارسات العصرية ساهمت في جعل الأولياء يعيدون النظر في التربية التي تلقوها، وهذا ما جعل علاقاتهم بأبنائهم تتغير وتسجل ضمن الثقافة العصرية ." العلاقة الجديدة (...) بين الأب والابن تأخذ نمط الديمقراطية، وكذلك الأم والبنت، وبين الإخوة وأخواتهم (...) بإضعاف سلطته على الابن، وبتوسيع الحديث التربوي معه، فإن الأب يثأر عادة وبشدة على التربية التي تلقاها هو، والمعتمدة على السلطة المطلقة للأخ البكر والعم" [2].هذا يعني أن الأب أيقن جيدا متطلبات العصر الجديد، التي ترتكز أساسا على النجاح المهني، فالتشديد في السلطة لم يعد يجدي بنفع .

وعلاقة الأم بالأبناء أصبحت هي الأخرى أكثر ديمقراطية، خاصة إذا كانت مستقرة في أسرة نووية: "تأخذ الأم الشابة على عاتقها مسؤوليتها كأم ومسؤولية مستقبل بيتها، (...)، لأن الأم الشابة لها مواقف جديدة، إنه الانقطاع مع الشكل التقليدي في التربية، (...) وكأنه نوع من الأخذ بالثأر ضد العطف الجماعي لتعويضه بالعطف الفردي والخاص من طرفها هي، إنها تأخذ هذا الموقف بطريقة الملكية الخاصة وبطريقة عدوانية ضد كل من يريد تملك ابنها" [3].

مع أن هناك اهتماما دقيقا بالتربية المعاصرة، إلا أن هناك ما يثبت استمرار التربية التقليدية خاصة استمرار التمييز الجنسي، وحتى عندما يرجع الاختيار للتربية العصرية، لا يتم الاتفاق دائما عليها بين أعضاء الأسرة، خاصة إذا كانت هذه الأخيرة ممتدة، يرى **مظهر** أنه لا يوجد زوجين مستعدين أن يناقشا تطبيقاتهما التربوية التي يحققونها مع أبنائهم، ولا أن يتحدثا عن نمط التربية التي يجب أن يقدمانها، هذا الانقسام التربوي هو نتيجة للانقسام ما بين نمطي الحياة (تقليدي - عصري)[4].

التربية التي تلقاها معظم الأولياء في الفترة الاستعمارية، وبداية الاستقلال وكذلك لسنوات بعد تلك الفترة، كانت تقليدية، حتى وإن كانت لدى البعض القليل تحمل الجانب

---

[1] Boutefnouchet(Mostefa),Op.Cit p.256.
[2] Ibid. p. 254.
[3]Boutefnouchet,Op.Cit. p. 225.
[4] Medhar (Slimane) , **Tradition contre développement**.,En. A.P, Alger, 1992,p. 165.

العصري، إلا أن القيم التقليدية كانت غالبة، ولأنها كانت كذلك، فإنها لم تحضر الأولياء للمناقشة في النموذج التربوي الذي سيلقن للأطفال، لأنها ببساطة كانت تتم بصفة عفوية، وكانت تفصل بين الجنسين، بل لم تحضر الزوجين للعيش ضمن أسرة نووية مستقلة عن الجماعة، أين يستقل الزوجان في اختيارهما وقراراتهما.

لذلك ولأن القيم اختلفت وتباينت بين ما هو تقليدي وما هو عصري، فإن احتمال الصراع بين الزوجين، وبين الزوجين وبين الجدين يكون واردا :" ما بين الأبوين والجدين يمكن أن تحدث مشكلة التربية العصرية والتقليدية وبصفة شديدة بإمكانها أن تكون عدوانية "[1]، لكن الصراع بين الأبوين وبين الجدين له تأثير قد يكون وخيما :"هذا الانقسام في وظائف الأسرة ما بين المتطلبات العصرية الجديدة للمجال الحضري، تجعل الصراعات داخل الخلية الأسرية تشتد وتؤدي إلى تهميش أفرادها، إذ تزايد الانحراف المسجل في السنوات الأخيرة بالنسبة للأسر التي تم إدماجها حاليا ضمن المجال الحضري، ذلك مؤشر على أزمة أبوية. هذه الأسرة التي تبحث عن هوية خاصة تظهر على أنها ذات شخصية مزدوجة بارتباطها في الوقت نفسه بمعايير وقيم تقليدية واكتسابها لنماذج جديدة متحكمة في أفرادها" [2]. وإذا كان الأبناء يعيشون في محيط اجتماعي كهذا ذي قيم متناقضة ومتصارعة، فإنهم يصبحون أكثر عدوانية بسبب تذبذب المواقف والممارسات اليومية الغير متوافقة مع نموذج واضح، ويكونون أكثر عرضة لممارسة العنف.

الإشكالية:

إن القيم التقليدية التي كانت منظمة في نموذج منسجم يعتمد على وحدة الجماعة، قد تراجع واضمحل مجاله لكنه لم يندثر، والنموذج العصري المبني على قيم الفردية والعقلنة لم يتم تبنيه مثلما وجد في مجتمعاته الأصلية، فعند إدخاله إلى مجتمعنا واجهته القيم التقليدية، فلم يتوصل المجتمع بعد إلى إحداث توافق وتوازن وتركيب بين القيم المتناقضة، تلك التي تعتمد على التغيير كمبدأ لها، وتلك التي تعتمد على الثبات. فالتربية الأسرية تغيرت لكنها حافظت على بعض الثوابت، وتراجع العقاب التقليدي المبني على العنف ضمنها وعوّض بمنهج عقاب عصري، لكن رغم التفاهم والتوافق الذي يبدو بين الشباب وبين أوليائهم في الكثير من الأسر، نجد لديهم ممارسات عنيفة، فكيف تساهم القيم التربوية الأسرية في ارتفاع درجة عنف الشباب؟

---

(1) Boutefnouchet (Mostefa), Op .Cit , p. 256 .
(2) Haider (F) , Op Cit , p. 40

فرضية البحث:

تعايش قيم تقليدية خارجة عن منطقها الزمني والمجالي وأخرى عصرية متبناة خارجة عن الإطار الذي وجدت ضمنه أنتج في المجتمع تذبذبا وعدم تناسق في القيم التربوية الأسرية، مما كان سببا في انتشار العنف في أوساط الشباب.

عينة وتقنية البحث:

ضمن بحث ميداني (في إطار تحضير رسالتنا للدكتوراه) حول القيم التربوية الأسرية كان للعنف مجال بين محاور الدراسة، أخذنا عيّنتين لمتطوعين بمجموع 325 مبحوث موزعين كالآتي: عينة من الأولياء بعدد 91 وليا، وأخرى من الشباب تجمع 234 عنصر. أخذت العينتين من جامعتي الجزائر وبجاية، أين تمَ توزيع الاستمارات على الطلبة، وعن طريقهم تم إيصالها إلى أسرهم. وزعت استمارتين: الأولى ذات أسئلة خاصة بالأولياء، والثانية موجهة للشباب العزاب الذين لا تقل أعمارهم عن 15 سنة ولا تتعدى 31 سنة.

التحليل:

التغير التربوي وأثره في نمو العنف لدى الشباب: أكد المبحوثين في معظمهم أنهم يريدون أن يكون أبناؤهم عصريين التزاما بالتوافق مع العصر، حتى لا يهمشوا، وصرحوا بأنهم يحرصون على تعليمهم في هذا المجال، المظاهر المعنوية للعصرنة والمتمثلة في حسن التأدب في التعامل مع الغير: "تعلم الحوار مع الناس"، "كيفية التعامل مع الناس"، "احترام الآخرين"، "التواضع"، "التسامح"، " احترام الآخرين إذا أردنا أن نُحترم"، وإذا ذهب المبحوثين إلى هذا الجانب، فلأنهم لاحظوا أن الثقافة العصرية توفره، وأن حسن التعامل مفقود أو ناقص في المجتمع نتيجة انتشار العنف خاصة في صفوف الشباب.

كانت التربية الأسرية ضمن النظام التقليدي الأبوي أكثر ما تشدد عليه هو الاحترام، بما في ذلك احترام الكبير، واحترام القرابة والجيرة، بل والجماعة ككل، لدرجة أن شخصية الشاب أمام الأسرة كانت مهمشة لشدة خضوعه، وكل الدراسات التي تعمقت في النظام الأبوي تحدثت على الاحترام التام الملفت للانتباه، لكن لما بدأت الثقافة العصرية في الطغيان، واهتز بفعلها النظام الأبوي وتغيرت الأدوار الأسرية، ما فتئت التربية الأسرية تتجه نحو الثقافة العصرية في تساوي أعضاء الأسرة في الواجبات والحقوق، وبدأ الشباب يشاركون أوليائهم في إبداء الرأي واتخاذ القرارات، وفرض أنفسهم، وجلب الانتباه إليهم، خاصة في المناطق الحضرية اللامتجانسة من حيث تركيبتها البشرية، أين بدأ اختلال التوازن في

الاتساع بين تراجع قيم الثقافة التقليدية حسب النظام الذي كانت سائدة فيه، واختلاطها أو صدامها بقيم الثقافة العصرية التي لم تستوعب بكاملها، مما أعطى مزجا ثقافيا متناقضا وغير موفق، وأحدث أزمة تعامل بين الناس وصلت لدرجة العنف، كون التعامل لم يبق تقليديا ولم يبلغ حضارة الثقافة العصرية، التي أصبحت لدى المبحوثين تمثل نموذج حسن المعاملة والأدب بين الأفراد، لاستنادها على مبدأ الإنسانية الذي يستدعي التراحم في المعاملة مع الغير، ومبدأ الفردانية الذي يؤكد على احترام خصوصيات كل فرد، بما في ذلك الطفل كذات مستقلة، ومبدأ المساواة الذي يجعل الأفراد محترمين دون تمييز عرقي أو جنسي ... الخ. المهم أن حسن المعاملة أصبح من أبرز صفات الثقافة العصرية في المجتمعات المتطورة التي تبهر كل من زارها، وبالتالي الاقتداء بها لتعليم الأبناء التحلي بهذه الصفة هو سمة تبني العصرنة لدى المبحوثين، إضافة إلى صفات أخرى تدخل في نفس الإطار وتعتبر دعائم المعاملة الطيبة أهمها: لغة الحوار، والتسامح والتواضع.

وإذا اتجه البعض من المبحوثين إلى البحث عن الحل لأزمة التعامل الاجتماعي المتصفة بتفشي العنف في الثقافة العصرية، فذلك لأن القيم التربوية قد تغيرت واتجهت أكثر فأكثر نحو هذه الثقافة، ولأن الأولياء أيضا ليسو مقتنعين بفعالية القيم التي تربوا عليها حاليا.

76.92٪ هي نسبة المبحوثين الذين يريدون أن يكون أبناؤهم مختلفين عنهم، بالتفوق الكبير للإناث اللواتي تبلغ نسبتهن 81.25٪ على الذكور الذين تصل نسبتهم إلى 72.09٪، ويفسر تفوق الإناث في هذا الموقف برفض وضعيتهن الدنيوية، بحيث لا تردن أن تستمر معاناة بناتهن مثلما عانين من مشقة الخضوع، وهذا الموقف يعتبر تمردا على تلك الوضعية، فالبعض من المبحوثات صرحن أنهن يردن أن تكن بناتهن أكثر تحررا.

وحينما سئل المبحوثين عن طبيعة الاختلاف الذي يريدونه، أكثر ما ركزوا عليه هو التعليم والتثقف، بقولهم: "في المستوى العلمي"، و"في مواصلة الدراسة"، و"في الدراسات العليا"، ويأتي كل هذا الاهتمام بالدراسة وبالعلم، بهذا القدر، نتيجة إدراك المبحوثين لمدى أهميتهما في التحكم في تقنيات الحياة العصرية، أو للتخلص من الخضوع بالنسبة للإناث.

وذكرت فئة، الاختلاف في طريقة التفكير، بحيث يعتبر البعض من المبحوثين بأن تفكيرهم ساذج، فبالطبع يريدون أن يختلف أبناؤهم عنهم: "لا أريدهم أن يكونوا ساذجين"، "يختلفون عني في السذاجة لأن المجتمع دون رحمة"، "لا أريد أن تكون ابنتي ساذجة مثلي". فالمجتمع المعقد الذي يسير نحو العصرنة يستعمل رموزا يصعب التحكم فيها، وبالتالي يحتاج الأفراد للكثير من الذكاء والفطنة، حتى يتمكنوا من الاندماج في المجتمع والتكيف مع

رموزه، لأن الروابط التي كانت فيما مضى تدعم الأفراد في المجتمع البسيط قد ضعفت، وروح التنافس التي فرضت للنجاح الاجتماعي لم تترك الفرص نفسها متاحة للكل، وأكد أحد المبحوثين أنّ أبناءه فعلا مختلفون: "يختلفون عني، في التمرد في اتخاذ القرارات"، وربما يقصد التمرد عن الخضوع للجماعة الذي يكون قد أفقده بعض فرص النجاح.

فئة أخرى تختلف عن سابقتها باعتبارها تركز أكثر على التخلص من بعض الصفات التي تعرقلهم في التكيف والواقع الاجتماعي كالخجل: "لا يجب أن يكونوا خجولين أكثر من اللازم، حتى يحصلوا على حقوقهم ولا يخافوا"، "أن تكون لهم الجرأة ويكونوا غير مهتمين بما يقوله الناس". المبحوثون مدركون تماما بأن الواقع الاجتماعي الجديد يفرض على الأفراد الكثير من الجرأة، بما أن الأمر أصبح مرتبطا بالتنافس لتحقيق الارتقاء الاجتماعي فإن الحقوق أصبحت أكثر فأكثر تؤخذ، والذي يكون خجولا فإنه يفقدها، وعادة يأتي هذا الأخير من الانتباه كثيرا لأحكام الناس، والحذر من أن تقع على الفرد، لذلك قالت مبحوثة: "يكونوا غير مهتمين بما يقوله الناس"، فالجرأة تعني عدم الاهتمام بما يقوله الآخرون وعدم الخوف من أحكامهم. وكثيرا ما يؤدي الخجل إلى الخضوع، فيخجل الأبناء من الأب إن لم يطيعوا أوامره، وكذلك المسؤول في العمل فلا يناقشوه، لذلك قال أحد المبحوثين: "لا أريدهم أن يكونوا مثلي في قبول الخضوع للتدرج السلمي والأسري".

كما يريد البعض من المبحوثين أن يختلف الأبناء عنهم بتوصلهم إلى مراكز اجتماعية أحسن من تلك التي يشغلونها هم: "أن تكون لهم ظروف معيشية أحسن، ووضعية اجتماعية ووظيفة مستقرة"، "النجاح في الوضعية الوظيفية". من هذا نستنتج أن المبحوثين لم يكونوا مستقرين وناجحين في وضعيتهم الوظيفية والتي تؤدي حتما إلى الاستقرار والنجاح في الوضعية الاجتماعية، لذلك يريدون النجاح لأبنائهم ويريدون لهم "الحصول على مراكز أعلى في هذا المجتمع"، وهذا هو طموح كل فرد، لأن المراكز العليا تحسن الوضعية المادية: "أريدهم أن يكونوا أحسن مني من الناحية المادية".

بعد عرضنا لأهم النقاط التي يريد المبحوثون أن يكون أبناؤهم مختلفين فيها عنهم، نلاحظ أنهم قدموا بطريقة غير مباشرة انتقادات لأنفسهم، بتعبيرهم عما فشل البعض عن تغييره في شخصيته، من طبع معرقل للتكيف الاجتماعي في الوسط المتغير، وسذاجة في التفكير، ونقص في الطموح، وعدم مواصلة التعليم، وما فشل البعض في تحقيقه من نجاح وظيفي والحصول على وضعية اجتماعية مادية مريحة، ومراكز اجتماعية عليا، وما إرادة الاختلاف سوى استثمار جديد في الأبناء، ليحققوا طموحهم، ولذلك كانت التربية التي

قدموها عبارة عن إستراتيجية جديدة لتحقيق طموحاتهم المختلفة في الوسط الاجتماعي الجديد، فإذا كان المبحوثين أنفسهم انتقدوا فيما سبق قلة الاحترام أو عدمه، فإنهم لم يدركوا بأن ذلك ناتج عن إستراتجياتهم الجديدة التي هيّأت الأبناء للتغيير، ولأن الأولياء الذين امتازوا بالخجل والسذاجة والخضوع والخوف استنادا للقيم التقليدية التي تربوا عليها ولم يحققوا ما طمحوا إليه في حياتهم، فإنهم أدركوا ضرورة انتهاج طريقة جديدة لتجاوز الفشل، تشجع على الجرأة في الحصول على الحقوق وعدم الخضوع والفطنة والشجاعة والطموح، بذلك غاب التعامل القديم المبني على الاحترام، وعوّض بتعامل جديد نصف عصري مبني على القيم الجديدة التي يرى المبحوثون أنها تحقق النجاح، لكن نشير إلى أنها لم تستوعب بعد في المجتمع بقالبها الأصلي، لذلك أدت الجرأة وعدم الاهتمام بأحكام الغير وعدم الخجل إلى فقدان احترام الغير، وإلى فوضى في التعامل، وإلى محاولة أخذ الحقوق حتى وإن لم تكن مستحقة، ومحاولة تحقيق النجاح المادي بشتى الطرق، فأصبح استعمال العنف لدى الشباب وسيلة لفرض النفس، وتعبيرا عن الجرأة والشجاعة مثلما أراد الأولياء، بحيث كلما تراجع الاحترام بين الأفراد ارتفعت وتيرة العنف واشتدت. في هذا الصدد نجد 76.92٪ من المبحوثين أكدوا على أن التربية الجديدة للأبناء أعطت جيلا مختلفا مغايرا لتربية المبحوثين تبعا لتصريحاتهم.

البعض من مظاهر العنف في الأسرة الناتجة عن تضارب القيم الثقافية :

- **العنف بين الإخوة:** لأن القيم التقليدية لا زالت ذات تأثير قوي من الجانب الأخلاقي للإناث يجد الإخوة أنفسهم مضطرين لمراقبة سلوك أخواتهم ومسئولين عن حمايتهن لتجنب الخطأ الذي يشملهم تأثيره، فبالحفاظ عليهن هم يحمون أنفسهم أيضا من حكم المجتمع، وبما أن مواقف الإناث جاءت تتصدى هذا الفعل، فإن التوتر الذي تحدثه القيم المتناقضة في هذا المجال يؤدي إلى صراع يصل إلى عنف جسدي، وأخطر الأخطاء التي يتجنبونها في واقع عصري تدور حول العلاقة العاطفية للأخت، وما يستدعي ثوران الإخوة هو المشاهدة المباشرة، أو الاستعلام المباشر عنها، ما يضعهم في اضطراب شديد لأنهم يصبحون ملزمين باتخاذ موقف، وبردّ فعل عنيف. فرغم التغيير الواسع الذي جعل المؤشرات التقليدية تبدو في سير نحو الاندثار، نلاحظ أن تلك المرتبطة بقيمة الشرف لا زالت ثابتة، ولازال وقعها على الإناث قويا، وفي هذا الموقف يكون رد فعل الأخ في مواجهة خطأ الأخت هو العقاب بنسبة 64.61٪. ومختلف أنواع العقاب المحتملة تؤكد على استمرار تأثير القيم التقليدية بشدة على معظم المبحوثين وأسرهم، عندما يتعلق الأمر بالعلاقة العاطفية، وخطيئة الزنا أو الشرف التي

تنعكس آثارها على الأسرة، بحيث لازال القتل يذكر لدى نسبة 9.37٪من المبحوثين، والحبس في البيت 7.91٪، والمقاطعة الأبدية13.66٪، أما الضرب 27.33٪، والغضب 16.26٪ فينطبقان على أخطاء أقل خطورة كعدم الاحترام والكذب. كما لاحظنا أن الذكور الذين يرفضون العلاقات العاطفية لأخواتهم هم أنفسهم لديهم علاقات عاطفية، إذ يسمحون لأنفسهم ما يمنعونه مباشرة وبشدة على أخواتهم، فهم عصريون في علاقاتهم، وتقليديون حينما يتعلق الأمر بأخواتهم. هذا الوضع المتناقض يعبر بقوة، على مدى صراع القيم التقليدية والعصرية في الحياة اليومية للمبحوثين، مما يؤدي لدى الكثير إلى عنف معنوي وجسدي ضد فئة الإناث، خاصة منهن المتمردات.

العنف بين الأولياء وبين الأبناء: واعترفت نسبة8.11 ٪ من مجموع عينة الشباب ذكورا وإناثا، أن لهم انحرافات تعتبر جنحا اجتماعية يعاقب عليها المجتمع، ومنها ما يعاقب عليها القانون باعتبارها لا أخلاقية، كالتدخين بالنسبة للفتيات، وشرب الخمر، ولعب القمار، وممارسة الجنس، والسرقة، وتناول المخدرات، وفي الكثير من الحالات كان عنف الأولياء السبب الرئيسي في ذلك التوجه، مثلما أكد تصريح إحدى المبحوثات التي ذكرت ما يلي:"والدي يكرهني لأنني فتاة، فهو يكره البنات، لذلك السبب يضربني ويشتمني دائما دون ذنب، ولذلك قررت أن أبقى بعيدة عن البيت، أفضّل أن أبقى في الإقامة الجامعية، أشرب الخمر وأتناول المخدرات لأنسى وأرفه عن نفسي مع صديقي"، يبين هذا التصريح مدى انتقام المبحوثة من عنف والدها، فإذا كان الأولياء في الأسرة الأبوية التقليدية يتعاملون مع البنات على هذا النحو دون توقع ردود أفعال من بناتهم، فإن استمرار نفس المعاملة التقليدية في واقع عصري مغاير لا يمر دون عواقب خطيرة . فممارسة العنف حاليا على الأبناء يستدعي انتقاما من الأبناء وفي مرحلة لاحقة إلى عنف، وما هذه المبحوثة إلا مثال عن الكثير.

وصرح مبحوث آخر أن والده كان يضرب والدته، ولتفادي الصراع المستمر في البيت كان في طفولته يهرب من البيت لعدة أيام، فتعلم التدخين وهو طفل، وتعلم الخمر وتناول المخدرات مراهقا، واستمر في معاناة الإدمان، فأصبح يمارس السطو والاعتداء على الناس حتى يؤمّن ثمن الحبوب المخدرة إلى أن دخل السجن، ولدفعه إلى التخلي عن الحبوب كان رد فعل والديه دائما استعمال العنف .

نلاحظ في حالة أخرى كيف أدى التعامل التقليدي المبني على العنف، حاليا إلى إعادة إنتاجه بصفة مغايرة وأكثر قسوة، جعلت من الابن في الوقت نفسه ضحية وجانيا، ونقلت العنف لخارج الأسرة.

النتيجة:

إذا كان للعنف أسباب متعددة، فإن التربية الأسرية تبقى مصدرا مهما وخاصا ذو تأثير قوي، نتيجة القيم التربوية التي تعتمدها وتحرص على إيصالها للأبناء.

إن عدم استقرار القيم التربوية في اتجاه ثقافي منتقى بكل وعي وإدراك من طرف الأولياء، والاستمرار في العيش بصفة عفوية ضمن التناقض اللاواعي الذي يعيشه المجتمع، يؤدي حتما إلى حالة تذبذب، وعدم التناسق في المواقف والأفعال يؤدي إلى فوضى في التعامل الأسري تنتقل إلى الخارج، وتترجم بأشكال العنف المنتشر بين الشباب.

تجاوز التناقضات يتم باختيار نموذج ثقافي خاص يجمع بطريقة واعية بين قيم عصرية كونها أصبحت لا مناص منها، وما يتلاءم معها من قيم تقليدية كونها لدى الكثير هي محددة لمعالم الشخصية، لكن يبقى ذلك الوعي رهن إرادة سياسية قوية تأخذ على عاتقها التركيب القيمي الثقافي عن طريق مشروع مجتمع ذو إستراتيجية عامة.

المراجع:

1 - دياب (فوزية)، **القيم والعادات الاجتماعية**، دار النهظة العربية، بيروت، 1980.

2- Ansart (Pierre), Aknoun (Andrée) (Sous la direction de), **Dictionnaire de sociologie,** Robert, le seuil, Paris, 1998.

3- Bourdieu (Pierre),**Sociologiede l'Algérie**, ed Dahleb, ,Alger ,1984.

4- Boutefnouchet (M.) **La Famille algérienne,Evolution et caractéristiques récentes,** SNED ,Alger 1982.

5 - Genevois (Henry) ,**L'Education familiale en Kabylie**, F.B.D.N°89 ,Fort National ,1966.

6 - Haider (F),in Institut National d'Etude et d'Analyse pour la Planification ,**Réflexions sur les structures familiales** ,Alger, 1982.

7 – Lacoste- Dujardin(Camille). **Des Mères contre les femmes , Maternité et patriarcat au Maghreb** , Bouchène, Alger. 1990.

8 -Medhar (Slimane), **Tradition contre développement** ,En. A.P, Alger, 1992.

9 – Michaud (Yves), **La violence** ,PUF-Point Delta ,Beyrouth, 2010.

10- Ouitis (Aïssa) , **Les Contradictions sociales et leur expression symbolique dans le Sétifois** S.N.E.D.-C.R.A.P.E. , Alger 1977.

11 - Zerdoumi (Nefissa) , **Enfant d'hier , l'éducation de l'enfant en milieu traditionnel algérien,** Maspéro, Paris, 1982.